Educational Psychology: Theory and Practice

Robert E. Slavin

Allyn and Bacon

علم النفس التربوي: النظرية والتطبيق
روبرت أي سلفان

عرض
كاظم عبد نور*

يتكون الكتاب الذي نقدمه هنا إلى الأساتذة والباحثين في ميـــدان علـــم النفـــس التربوي، وبخاصة العاملين في ميدان إعداد المعلمين وتدريبهم في كافة مراحل التعليم من (١٤) فصلاً، كتبت على (٦١٤) صفحة من الحجم الكبير، وملحق واحد من (٤) صفحات للسجل التراكمي للمعلم الجديد، ومراجع للكتاب غطت (٤١) صفحة ودليليـــن، أحدهمـــا للموضوعات والثاني لأسماء الأعلام. ومسوغات اختيار هذا الكتـــاب وتقديمـــه للقـــارئ الكريم كثيرة تقف في مقدمتها قيمة الكتاب العلمية العالية، وفن إعداده وإخراجه، وكـــون الكتاب تم إعداده على ضوء متطلبات ومعايير أهم المؤسسات المهنية التربوية الأمريكيـــة التي تراقب برامج إعداد المعلمين وتدريبهم، وتحدد الخبرات والمهارات المطلوب توافرها في المعلم، والمؤسسات التي تشرف على تشغيلهم بعـــد التخـــرج مثـــل (INTASC) و (NCATE). كما تأتي أهميته من استخدامه في عدد كبـــير مـــن المؤسســـات التربويـــة (المعاهد والكليات) الأمريكية التي تقوم بإعداد المعلمين وتدريبهم، وطبعه (٦) مرات بيـــن ١٩٨٦ (الطبعة الأولى) وعام ٢٠٠٠ (الطبعة السادسة)، وإن طبعتـــه الســـابعة (٢٠٠٣) التي نعرضها هنا وصلت جامعة قطر قبل حلول السنة الجديدة بحوالي أكثر من شـــهرين. وللأمانة يجب القول: إن الفضل الأول لتقديم هذا الكتاب يعود إلـــى الأخ الدكتـــور عبـــد العزيز عبد الرحمن كمال الذي قدمه لنا مع مجموعة أخرى من الكتب الحديثة التربويـــة والنفسية.

* أستاذ زائر في كلية التربية / جامعة قطر خلال العام الجامعي ٢٠٠٢-٢٠٠٣م.

بدأ الكتاب بثلاثة جداول للمحتويات، الأول بحسب معايير (Standards) المؤسسات المهنية الأمريكية المشار إليها، وفيه تمّ تحديد الفصل أو الفصول التي تلبي كل متطلب أو معيار من تلك المعايير وغطى هذا الجدول صفحتين، والثاني جدول مختصر لم يتجاوز ثلثي الصفحة الواحدة قدّم فيه المؤلف عناوين الفصول فقط والثالث جدول مفصل لمحتويات الكتاب شمل أكثر من (٧) صفحات. ويعد هذا تجديداً لم نجده في الكتب العربية الجامعية المعدّة لطلبتها، وهذا التجديد مسؤولية مشتركة بين المؤلف ودور النشر العربية التي تتسابق في إنتاج الكم على حساب الكيف في أغلب إنتاجها الذي تشكر عليه.

وفي تمهيده لكتابه، بدأ المؤلف بتحديد الأهداف من إعداد الكتاب وطريقة تنظيمه والموضوعات الجديدة في الطبعة الجديدة، والفصول والموضوعات التي زاد فيها وسمات المدرسين الناجحين وصور المتميزين منهم، والملاحق التي تفيد المعلم الجديد في قاعات الدرس وشَكَرَ في نهاية تمهيده الأفراد والمؤسسات التي ساعدت في إخراج كتابه بالشكل الذي خرج به، وهم كثر، وختم التمهيد بنبذة عن المؤلف، الأب والأستاذ والباحث، الذي حصل على كثير من التقدير والتكريم والميداليات اعترافاً بجهوده العلمية.

ويتسم أسلوب المؤلف بالوضوح والبساطة اللتين تعززهما القصص القصيرة التي يشكل المعلمون المتميزون والجدد على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية أبطالها الرئيسين، وبالأمثلة من الواقع التربوي الأمريكي، والصور والجداول البيانية والأسئلة الواضحة من حيث الصياغة والهدف. ويكاد لا يخلو فصل من فصول الكتاب من توجيه انتباه القارئ "معلم المستقبل" إلى التفكير في كيفية الإستفاده من الخبرات والمعلومات المقدمة في كل فصل في تحسين عمليتي التعلم والتعليم، وكيفية تحويل المعلومات النظرية إلى ممارسات سلوكية تربوية داخل قاعة الدرس، وتذكيره بمتطلبات المؤسسات المهنية ذات العلاقة بموضوع الفصل التي يحتاجها المعلم الناجح في المدرسة الأمريكية التي يعوّل عليها كثيراً في إعداد علماء المستقبل وقادته، ليس لأمريكا وحدها بل للعالم. وينهي المؤلف كل فصل من فصول كتابه بخلاصة للفصل واختبار للتقويم الذاتي يستطيع الطالب من خلاله معرفة درجة تقدمه نحو تحقيق متطلبات النجاح، والحصول على الخبرات والمهارات التي تكفل له النجاح في مهنة التعليم والاستمرار فيها. وفيما يأتي عرض موجز لفصول الكتاب وأهم محاورها، نأمل أن نوفق في تقديم كم كثير من المعلومات والخبرات على عدد محدود من الصفحات.

بدأ المؤلف الفصل الأول " علم النفس التربوي: أساس التعليم والتربية (ص ١-٢٦) " بعرض حالة (قصة) معلمة جديدة ترغب في تعليم مقرر" الكتابة الإبداعية "

للصف الثالث الابتدائي، انتقل بعدها إلى أسئلة الفصل الرئيسة الآتية: ما المقصود بعلـــم النفس التربوي؟ وما لذي يجعل المعلم معلماً جيداً؟ وهل يمكن تعليم التعليم الجيد والمعلـم الجيد؟ وما هو دور البحث العلمي في زيادة درجة فاعلية علم النفس التربوي؟ وما هـــي أنماط (أنواع) البحث العلمي في ميدان علم النفس التربوي؟ وقد اســـتطاع المؤلـف أن يجيب عن جميع تلك الأسئلة وما يتفرع عنها ومنها من أسئلة فرعية بأسلوب وفكر العـالم والباحث والمعلم.

وفي الفصل الثاني قدم المؤلف باختصار غير مخل موضوع " نظريات النمـــو (ص٢٦-٦٤) " إذ عرض من خلاله مفـاهيم النمـو المعرفـي والعقلـي والاجتمـاعي والأخلاقي والقيمي وجوانب ومراحل كل واحد منها، وعدداً من النظريات النفسية التـــي تفسر كل جانب من جوانب نمو شخصية الفرد عبر مراحل النمو، مثل نظريات بياجيـه و فيكوتسكي واريكسون وكهلبرج (Kohlberg). والجديد الذي يمكن ملاحظته فـــي هـذا الفصل (والفصول الأخرى) هو استخدام ألوان عديدة في طبع عدد من صفحـــات هـذا الفصل، إذ وصل عدد الألوان حوالي (٨) ألوان في الصفحة الواحدة (لاحظ على ســبيل المثال الصفحات ٣٤ ،٤٥، ٤٧).

أمّا " الفصل الثالث "النمو خلال مرحلتي الطفولة والمراهقـة " (ص٦٥- ١٠٠) فقد بدأه المؤلف بموقف تربوي من واقع المدارس، ثمّ أنتقل بعد ذلك إلـــى تقديـم أســئلة الفصل الرئيسة، ومنها: كيف ينمو الأطفال قبل عمر الروضة جسمياً؟ وكيـف يكتســبون اللغة؟ وكيف تنمو وتتطور المهارات الحركية عندهم؟ وكيف ينبغي أن يسلك المعلم فـــي المدارس التي تقدم تعليماً لأطفال يأتون من خلفيات ثقافية وقوميـــة واقتصاديـــة مختلفـة (Bilingual Ed.) ؟ وكيف يحدث النمو الاجتماعي والانفعالي في تلك المدارس؟. ثمّ سـأل المؤلف عما يحدث من نمو جسمي وعقلي واجتماعي وانفعالي خلال ســـنوات الدراســة الابتدائية والمتوسطة والثانوية وكيف يتم تحقيق الذات؟. وأشار إلى ضرورة أن يراعـــي المعلم الناجح سمات كل مرحلة واستثمار ذلك في تعليم مـــهارات التفكـير الاســتقرائي والاستنتاجي والنمو المعرفي. ولم ينسّ المؤلف ضـــرورة اســتخدام تكنولوجيـا التعليـم والحاسوب في تيسير المناهج ابتداء من مرحلة رياض الأطفال.

وفي الفصل الرابع عرض المؤلف موضوع " تباين الطلبة (الفروق الفرديـــة) " (ص ١٠١ – ١٣٦). وذلك بتقديم خبرة معلمتين جديدتين في إحدى المدارس الأمريكيـــة حول كيفية التعامل مع تباين الطلبة في الصف الواحد، واختلافاتـــهم العرقيـــة والدينيـــة والثقافية والذكائية والاجتماعية والاقتصادية ..الخ. بعد ذلك عرض المؤلف محاور الفصل

الرئيسة التي توضح أثر اختلافات الثقافات في عملية التعلم والتعليم، وأثر اختلاف أصول الطلبة وخلفياتهم في اكتساب الخبرات الدراسية، وكيف تؤثر ثنائية اللغة في البيت والمدرسة واختلاف جنس الطلبة "ذكور- إناث" في التربية والتعليم واكتساب الخبرات الدراسية. كما وضحّ أثر تباين ذكاء الطلبة والعوامل المؤثرة في أساليب تعلمهم في نوعية الخبرات التي يكتسبها كل منهم. ولم يغفل عن لفت انتباه القارىء إلى الفروق بين استعدادات الفرد ذاته وقدراته.

أمّا الفصل الخامس فخصصه ل "نظريات التعلم السلوكية([١٣٧-١٧٠). إذ قدّم فيه حالة تذمر معلمة أمريكية من سوء تصرف الطلبة خلال دروسها وعدم التزامهم بقواعد ونظام سير الدرس، ثمّ انتقل إلى موضوع التعلم وتعريفاته ونظريات التعلم السلوكية، مثل نظريات التعلم الكلاسيكي لبافلوف، وقانون الأثر لثورندايك، والتعلم الإجرائي لسكنر وكيف نمت وتطورت، وقوانين نظرية سكنر وتطبيقاتها التربوية، وكيف تستخدم في تشكيل السلوك وإعادة تعديله، وجوانب قوة النظرية وجوانب ضعفها، كما قدم نظرية التعلم الاجتماعي. وقدم للمعلم الجديد أسلوب أو خطوات باتريك سكلوز العشرة لتعديل السلوكات السلبية التي يقوم بها بعض من الطلبة داخل قاعات الدرس (Patrick Schlos,s IOR Technique) (ص ١٦٤).

وفي الفصل السادس عرض المؤلف موضوع "معالجة المعلومات ونظريات التعلم المعرفية" (ص ١٧١-٢١٧). وقد مهدّ للموضوع بتقديم محاولة إحدى معلمات علوم الحياة في مدرسة ثانوية، بتصميم وحدة تعليمية عن "التعلم الإنساني" و" التعليم والتعلم التعاوني". ثم ربط ذلك بموضوع الفصل وهو "معالجة المعلومات"، ومراحل تلك العملية ونماذجها والانتباه والذاكرتين القصيرة المدى والطويلة المدى وأنماطهما المختلفة، والفروق الفردية فيهما، والعوامل التي تعزز الذاكرتين، موضحا ذلك على صورة ملونة للدماغ ومناطقه والمناطق التي تعد مراكز التذكر (ص ١٨٥). ثم حدد عددا من العوامل التي تؤدي إلى النسيان والأسباب التي تؤدي إلى استرجاع المعلومات من الذاكرة بعيدة المدى والعوامل التي تقود إلى التعلم الأصم والتعلم ذي المعنى، وكيف تساعد المهارات فوق المعرفية (Meta Cognition) الطلبة على التعلم الفعّال. وأشار إلى الإستراتيجيات المفيدة في تحقيق تعلم أفضل، مثل قيام الطالب بأخذ الملاحظات والتلخيص والتخطيطات وتبني أسلوب (P4R) لثوماس وروبنسن (١٩٧٢) لتحسين كفاءة الذاكرة (ص ٢٠٧-٢٠٨) وتنظيم الطالب للمعلومات.

أمّا الفصل السابع فخصصه المؤلف ل "الدرس الفـــاعل" (ص ٢١٨-٢٥٨) إذ قدّم فيه قصة معلمة سعيدة في عملها تقدم العلوم الطبيعية لطالباتها في المختبر (المعمـــل) في مجموعات صغيرة، ثم انتقل إلى خطوات تقديم الـــدرس بأســـلوب التعليـــم المباشـــر (Direct Instruction) الذي تبدأ بتحديد أهداف الدرس ومتطلبات النجاح في تحقيق أهـداف الدرس، وتقديم المادة التعليمية الجديدة، وعرض تلك المادة على شكل مواقف ومشـــكلات تتحدى تفكير الطلبة وخبراتهم، وتحديد التمرينات والمواقف التي ينبغي أن يقومـــوا بـــها بالاعتماد على الذات، واستخدام تكنولوجيا التعليم والحاسوب لتيسير العمل في المعمـــل، وتحديد درجة تقدم الطلبة نحو تحقيق الأهداف، وتقديم مراجعة سريعة (خلاصة) للمـــادة الجديدة، من غير أن ينسى الإشارة إلى جوانب القوة وجوانب الضعف في أسلوب التعلـــم المباشر. كما قدم المؤلف خطتين نموذجيتين لتدريس موضوعين، أحدهما في الرياضيـــات والثاني في التاريخ لتوضيح التطبيق العملي للتعلم المباشر.

وفي الفصل الثامن قدّم المؤلف "أســـاليب التعلـــم المتمركـــزة حـــول المتعلـــم والأساليب البنائية في التعلم" (ص ٢٥٤ - ٢٨٩). أكد من خلاله أن الطـــالب المعلـــم ينبغي أن يستخدم خبراته الشخصية والمكتسبة من قراءة الفصول السابقة من الكتاب فـــي تحقيق "التعلم التعاوني"، وأن يســـتخدم التفكـــير النـــاقد (Co-Operative Learning and Critical Thinking). ثمّ عرض محاور الفصل في ثلاثة أسئلة رئيسة هي :كيـــف تنظـــر المدرسة البنائية في علم النفس إلى التعلم؟ وكيف يمكن استخدام التعلم التعاوني من قبـــل الطلبة؟ وكيف يتم تدريس حل المشكلات ومهارات التفكير؟ ثمّ أجاب عنها بعرض جـــهود بياجيه وفيكوتسكي وما قدماه في التعلم الاجتماعي وتطوره، والتعلـــم الوســـيط وتوكيـــد أساليب التعلم البنائية على الانتقال من القمة إلى القاعدة، ومن الصعب إلى السهل ومـــن القانون أو القاعدة إلى الأمثلة (Top-Down Processing)، وليس العكس كما هو جارٍ فـــي تعليمنا. وبعد ذلك قدم مفاهيم التعلم التعاوني والتعلم بالاكتشاف والتعلم المنظم ذاتيـــاً مـــن قبل الطلبة والتعلم الوسيط (Mediate Learning)، ومبادئ جمعية علم النفـــس الأمريكيـــة (APA) حول عملية التعلم وتنظيم محتوى المناهج الدراسية (P265)، معززاً كـــل ذلـــك بالأمثلة واستخدام الألوان والتخطيطات.

وفي الفصل التاسع "تكييف التعلم والتعليم لتلبية حاجات المتعلمين (ص ٢٩٠-٣٢٥). استهل المؤلف هذا الفصل بعرضه "قصة قصيرة" طريفة عن معلم رياضيـــات واثق من نفسه في قدرته على تعليم موضوع القسمة المطولة في الرياضيات لجميع طلبـــة الصف الرابع الابتدائي. وكيف انتهت قصته إلى الفشل. وكانت تلك القصة مدخلاً جيـــداً لعرض محاور الفصل الستة التي أوضح خلالها كيفية تكييف البرامج التربوية المدرسية

المختلفة لتلبية حاجات المتعلمين ومستوياتهم وطموحاتهم ودافعيتهم، وليس العكس. وشملت المحاور الستة للدرس الناجح، وعي المعلم بمستويات المتعلمين وخبراتهم السابقة، وطرائق تقسيم الطلبة إلى مجموعات، ومساعدة المعلم طلبته للوصول إلى مستوى إتقان المادة، وأنماط تفريد التعليم والتعلم واستخدام تكنولوجيا التعلم والتعليم، والبرامج العلاجية والتعويضية وبرامج التدخل المبكر لأطفال الأقليات وذوي الاحتياجات الخاصة.

أما الفصل العاشر " إثارة دوافع الطلبة نحو التعلم (الدوافع والتعلم) (ص ٣٢٦ – ٣٦٣). فقد عرض المؤلف خلاله طريقة تقديم أحد موضوعات تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية في القرن الثامن عشر بطريقة تمثيل الأدوار. وبعد ذلك قدم المؤلف محاور الفصل التي شملت مفهوم الدوافع ونظرياتها، وعلاقاتها بنظريات التعلم والسمات والتوقع والحاجات الإنسانية، وما يمكن للمعلم عمله من أجل إثارة دافعية المتعلمين وزيادة درجتها، وقدم دور التعزيزات الإيجابية والسلبية، الداخلية والخارجية في دفع الطلبة نحو التعلم وزيادة التحصيل كمّاً ونوعاً. والواقع أن أستاذ علم النفس العام أو علم النفس التربوي الذي يقدم موضوع الدوافع إلى طلبة كلية الآداب أو التربية قد لا يجد جديداً في محتوى المحاور التي عرضها المؤلف، لكنه سيندهش ويتمتع بالطريقة الجميلة التي تعرض فيها تلك المعلومات، والأسلوب المتماسك الذي ربط به محتوى المحاور بمتطلبات المؤسسات المهنية الأمريكية من المعلم.

وفي الفصل الحادي عشر تناول المؤلف "البيئات التربوية الفاعلة (الناجحة) (ص٣٦٤ ــ ٤٠٥). وفيه قدّم تعريفات بيئات التعلم الفاعلة وإدارة الوقت والأعمال التي ينبغي أن يقوم بها المعلم منذ أول محاضرة، والإستراتيجيات الفاعلة في معالجة سلوكيات الطلبة وتحليل سلوك المتعلمين السلبي، ومعالجة المشكلات الخطيرة التي تصدر عن الطلبة والتدخل المبكر للمعلم والأسرة في منع ذلك.

أمّا الفصل الثاني عشر فقد خصصه المؤلف " للمتعلمين ذوي الاحتياجات الخاصة " (٤٠٦ــ ٤٥٥). إذ بدأ المؤلف هذا الفصل بموقف تربوي ميداني له علاقة بتربية وتعليم وتدريب ذوي الاحتياجات الخاصة. ثمّ انتقل منه إلى محاور الفصل الثلاثة الرئيسة وهي: مفهوم المتعلمين ذوي الاحتياجات الخاصة (learners with exceptionalities) ومفهوم التربية الخاصة (Special Education) ومفهوم دمج (Inclusion) ذوي الاحتياجات الخاصة مع المتعلمين العاديين في مؤسساتهم التربوية التقليدية من غير عزل في أغلب النشاطات التربوية والتعليمية. ثمّ عرض فوائد التدخل المبكر، ولم ينسّ المؤلف أن يذُكّر القارئ بأن اتحاد المعلمين الجدد الأمريكي

(INTASC) يطلـــب مـــن المعلم الجديد أن يكون قادراً على التعامل مع مختلف فئات المتعلمين داخل الصف وخارجه، بضمنهم ذوي الاحتياجات الخاصة وأصحاب المواهب.

وفي الفصل الثالث عشر قدّم المؤلف إستراتيجيات " تقويم تعلم الطلبة " (٤٥٦ – ٥١٣). عـــرض المؤلف حالة من واقع المدارس الأمريكية ثم انتقل إلى محاور الفصل الستة:

١- مفهـــوم التقويم والأهداف التعليمية السلوكية للمقرر الدراسي بشكل عام ولوحداته ثم الأهداف التعليمية لكل محاضرة في كل وحدة من وحدات المقرر.
٢- أهمية التقويم في عملية التربية والتعليم.
٣- أنمـــاط الـــتقويم مـــثل التقويم التراكمي لتعلم الطلبة والتقويم الذاتي وتقويم الزملاء ومقارنـــة تقدم تعلم الطالب بنفسه وبزملائه وبمعايير " الجودة " وبأداء طلبة مماثلين له في دول أخرى....الخ.
٤- الاختـــبارات الشفهية والتحريرية (الموضوعية والذاتية) والأدائية، وكيفية إعداد كل منها، وإيجابياتها وسلبياتها.
٥- أســـاليب أخـــرى للتقويم مثل عمل مشاريع بحثية أو خطط أو تمثيل للأدوار تعكس درجة استيعاب المتعلم للخبرات والمهارات بشكل واضح ومحدد.
٦- تحديد درجات تقويم تعلم الطلبة النهائية باستخدام الأرقام أو الحروف أو الكلمات أو العبارات.

وفـــي الفصـــل الرابع عشر " الاختبارات المقننة " (٥١٤-٥٤٨). الذي استهله بمقدمة عرض فيها موقفاً تربوياً تجيب فيه معلمة أحد الفصول الدراسية وولي أمر إحدى الطالـــبات بلغـــة القـــياس النفســـي والـــتقويم التربوي. أنتقل بعد ذلك الى تقديم مفهوم الاختـــبارات المقنـــنة مـــثل اختـــبارات الذكاء والاستعداد، والتحصيل الأكاديمي المقننة، والتفكـــير الإبداعـــي، ومقايـــيس الشخصية ...الخ.، وأهداف استخدامها مثل التشخيص والعلاج واختيار الأفراد لدراسة معينة، والتقويم والتطوير واتخاذ القرارات بصدد المناهج وطـــرائق الـــتدريس ومنح الشهادات...الخ. كما عرض نتائج الاختبارات المقننة بحسب معايـــيرها وانحـــرافها عـــن المتوسطات...الخ، ونماذج من صفحات السجلات المدرسية الأمريكـــية التـــي يـــدون عليها نتائج الاختبارات المقننة ليطلع عليها الطالب المعلم قبل تخرجه. وقدّم المؤلف سمات الاختبارات المقننة مثل الموضوعية والصدق والثبات ودور الحاسوب في تطبيق الاختبارات المقننة وتصحيحها بسرعة، ثمّ أشار إلى ندرة المعلومات التـــي توفرها شبكة الانترنيت عن الاختبارات المقننة وكيفية تطبيقها وتصحيحها وتفسير نتائجها. وقبل أن ينهي الفصـــل، ذكّر القارئ بالفقـــرة (٨) من متطلبات المجلس القومي

لـــتقويم المعلمين الجدد ودعمهم من الولايات المتحدة الأمريكية (INTASC)، التي تؤكد بوضـــوح ضـــرورة أن يكون المعلم الجديد (والقديم أيضا) قادرا على تطبيق الاختبارات المقننة وتفسير نتائجها بدرجة عالية من الدقة ...الخ.

وخـــتاماً نعـــتقد إن قراءة هذا الكتاب واجبة (وليس مستحبة) لكل أستاذ وطالب يرغـــب أن يكـــون ناجحا في مهنته، ونعترف للقارئ الكريم بأن لنا أكثر من عودة لهذا الكتاب لما وجدنا فيه من غزارة الخبرات وحداثتها وكثرة المهارات، ودقة التوثيق وأمانته وجمال الإخراج وأسلوب العرض الذي كان من طراز " السهل الممتنع" ومن يدري، ربما نتعاون مع زملاء آخرين لنقله إلى اللغة العربية. بإيجاز نقول: إنه "كتب عديدة في كتاب واحد".